الثنائيات الضدية في أشعار ابن فركون الاندلسي

الدكتور حسين يوسفي

الأستاذ المشرف ، قسم الأدب العربي ، جامعة مازندران ، إيران

hoseinyosofi@yahoo.com

أحمد فليح حسن الخضري

طالب ماجستير ، قسم الأدب العربي ، جامعة مازندران ، إيران

ahmadfleyeh@yahoo.com

Opposite Dualities in the poetry of the Andalusian poet Ibn Ferkoun

Dr. Hossein Youssoufi
Supervising Professor, Department of Arabic Literature, Mazandaran University, Iran
Ahmed Falih Hassan Al-Khudari
Master's Student, Department of Arabic Literature, Mazandaran University, Iran

الملخّص :

ثنائيات الضدية هو ان يؤتى بمعنيين او اكثر وبعدها تذكر أضدادهما، على ان يكون التقابل بالترتيب. وتعتبر الثنائيات الضدية او التقابل البلاغي احد ابرز أساليب نظم المعاني كما انه احد سبل البيان التي تجد فيها المعاني معرضا للدقة والجمال، والتي تعطي للنص لذة ومتعة، فهو أسلوب بلاغي بديعي يكثر حضوره في الشعر، ويستخدم كأداة فنية لبيان المعاني الحقيقة والاغراض البلاغية. ونظرا لبلاغة هذا الفن فقد استخدمه الشعراء ومن ضمنهم ابن فركون الاندلسي حتى صبغ اغلب شعره.

تعددت مظاهر الثنائيات الضدّية في شعر ابن فركون الاندلسي وذلك لعدة اسباب ابرزها ان الشاعر كان ينطلق من بيئة أدبية اندلسية اشتهرت بحبها للزخرفة البديعية وقد تأثر الشاعر في ذلك من الجو الأدبي والذوق العام، كما ان تقلب الواقع الاندلسي بين الحروب والسلام والصراع والصلح والنعيم والبؤس والاستقرار والاضطراب كل ذلك قد ترك اثره في شعره فضلا عن ذلك فقد استعان الشاعر بهذا الفن للتعبير عن الكثير من افكاره وعواطفه ورؤاه من خلال الثنائيات الضدية والتقابل البلاغي. وقد استخدم الشاعر كل انواع الثنائيات الضدية سواء الطباق والمقابلة بمختف انواعها الإيجابية والسلبية الا اننا هنا نقتصر بحثنا على التقابل نظرا لما تمتاز به من دور فنّي بديع. ويجدر التنويه الي ان هناك ضربان من المقابلة فمنها ما هو لفظي واضح ومنها ما هو معنوي يستنبط يفهم من سياق الكلام وهذا ما نتناوله ضمن التحليل.

الكلمات المفتاحية : ابن فركون الاندلسي ، الثنائيات الضدّية ، التقابل البلاغي ، التضاد .

Abstract:

It can be said that the opposite dualities is when we mention two meanings or more and then we mention their opposites provided this contrast is in order. The opposite dualities is one of the most prominent methods of systems of meanings. This rhetorical style gives pleasure and a special taste to the text, and it can be found abundantly in poetry. Many poets have used this art, including the Andalusian poet Ibn Ferkoun, so we can see that clearly in most of his poetry.

It can be noted that the poetry of the Andalusian poet Ibn Ferkoun has many aspects of opposites dualities, it is due to that the Andalusian literature is famous for its desire for creative decoration. The Andalusian reality was a mixture of war and peace, bliss and misery and stability and turbulence so this has a clear effect on his poetry. Furthermore, the poet used this art to express his thoughts and emotions through opposites dualities and rhetoric correspondence.

He also used all kinds of opposite dualities, whether (Al- Tabbaq and Al-Muqubala) with its types of positive and negative. In this research we focus on correspondence because it has a wonderful artistic role and this is what we will cover in the analysis.

Key Words : the Andslusian Ibn Ferkoun , opposite dualities , rhetoric correspondence , contrast

المقدمة :

الثنائية الضدّية او التشكيل االتقابلي هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى وقد يكونان اسمين أو فعلين أو حرفين او جملتين فيكون تقابل المعنيين مما يزيد الكلام حسنا وطرافة. ويعتبر هذا الفن من أهم المحسنات البديعية وأروعها بحيث يعتبر لوحة لا يرسمها إلا من تذوق طعم هذا الفن، فهو يجمع بين شيئين ويبين الفرق بينهما في آن واحد، أي أنّه الجمع بين المتضادين فى الكلام، وهو علي ضربين الاول طباق الإيجاب ويكون بالإثبات لكلا الطرفين أو بالنفي لكلاهما كأضحك وأبكى وأمات وأحيا في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴾ (النجم، ٤٤). النوع الثاني هو طباق السلب وفيه نجمع بين كلمتين أحدهما تنفى بليس والآخر مثبت وغير منفي كقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (الزمر، ٩)، والطباق يقع اما بين اسمين، مثل «سيمسي الحي ميتا يوما» فهنا الحي بعكس الميت، واما بين اسم وفعل كما في قوله «لكل شيءٍ إذا ما تمّ نقصان»، هنا تمّ بعكس نقصان. واما ان يكون بين فعلين، مثل «تأخد الحياة من شخص وتعطي الحياة لشخص آخر»، فهنا الفعل تأخد بعكس تعطي. وقد يقع بين حرفين، مثل «ولهنّ مثل الذي عليهنّ»(البقرة،٢٢٨)

كما تنقسم الثنائيات الضدية الي ضربين هما الطباق والمقابلة. (الطرابلسي، ١٩٨١ م،ص ٩٥) والطباق الجمع بين لفظين مُتضادين فقط، أمّا المقابلة تتجاوز ذلك لتستخدم أكثر من ذلك، كما ان الطباق فقط يقتصر على ذكر الأضداد، أمّا المُقابلة تجمع الأضداد وشبهها.(سليمان، ١٩٩١، ٤٣).

تعتبر الثنائيات الضدّية احدي الاساليب الفنية المستخدمة من قبل الاديب والتي تمكنه من اظهار قدرته على التوازن بين المعاني والالفاظ، فكلما كان قادرا على ايجاد التناسب والتوافق بين الكلمات او العبارات القائمة على الازدواج الفني والتي تربطها علاقة ما كالتضاد، كان شعرالاديب اكثر وقعا في النفوس وادقها في اصابة المعنى . فعندما يأتي الشاعر بجملة ثم يتبعها بأخرى متصلة بها او مرتبطة معها بعلاقة ما سواء كانت مضادة او مخالفة لها في المعنى

او المبنى، على اختلاف البنية التركيبية لهذه الجملة مفردة كانت ام مركبة، سواء كان هذا الترابط الحاصل بين اجزاءها بالتضاد او الخلاف ، سوف تظهر لنا تشكيلة خاصة لهذا النص تميزه عن غيره من النصوص الاخرى . فالثنائيات الضدّية لون من التوازن الدقيق المنسجم القائم بين المباني او المعاني على حد سواء، فهو مبدا فني له ميزته في التعبير الأدبي الذي يكون حاضرا في اللغة الشعرية مع ما يضفيه من جمالية للنص الأدبي، فهو قائم على اساس التساوي بين عناصر الجملة التامة، وقد يتعدى ذلك الى وجوده في شطري بيت واحد او في بيتين متتاليين، يربط بينهما المعنى او الكلمات المتضادة او المختلفة في نسق متلائم فهو سمة فنية تعطي لمسة جمالية للنص من حيث المعنى او المبنى. (صلاح فضل ، ١٩٧٨ م، ص ١٢٤)

يعتبر التقابل احد ابرز أساليب نظم المعاني التي هي احد علوم البلاغة، وهو احد سبل البيان التي تجد فيها المعاني معرضا للدقة والجمال، والتي تعطي للنص لذة ومتعة، فهو اسلوب بلاغي بديعي يكثر حضوره في الشعر، ويستخدم كأداة فنية لبيان المعاني الحقيقة والاغراض البلاغية التي نجنيها من هذا الفن ومن السياق، والتقابل هو ان يؤتى بمعنيين او اكثر وبعدها تذكر أضدادهما، على ان يكون التقابل بالترتيب، مستخدما بذلك اعلى مستوى من التضاد الدلالي . فالتقابل لا يمكن حصره بين الالفاظ على اساس التضاد فقط، وانما قد تنطوي تحت رايته مجموعة من العلاقات الاخرى مثل الخلاف والتمثيل، فهو مصطلح عام تندرج تحته عددا من المفاهيم الاخرى كالطباق والمقابلة . فوجوده يمنح النص طاقة خاصة لها اثرها، فاذا وقع التقابل بين الألفاظ زادها لذة واثارة، واذا وقع بين المعاني زادها قوة ووضوحا، كما يضفي عليها رونقا وجمالا سواء كان في الالفاظ او المعاني، فهو صفة جمالية ثابتة في النص فمتى ما غاب عنه ذهب جماله وفقد لذته ومتعته . ويجدر الاشارة الى الانماط التي يأتي التقابل عليها، فمنها البسيط ومنها المركب، فالبسيط يكون التقابل فيه اما تضاد بين اللفظ والمعنى، او تضاد المعنى دون اللفظ. واما المركب فيكون التقابل فيه تضاد معنوي حاصل بين مفرد من جهة وتركيب من جهة اخرى، او حاصل بين مركبين متساويين .

شاع استخدام هذا الفن البديعي في الأدب العباسي ومن ثم الأدب الاندلسي الى درجة لافتة للنظر ، ومن الشعراء الذين ظهر لديهم هذا اللون البلاغي واكثروا استخدامه الشاعر ابن فركون الاندلسي ، وهذا الرجل هو : ابو الحسين احمد بن سلميان القرشي المعروف بابن فركون وهي شهرته ويكني بأبي جعفر ونسبه القرشي دليل علي اصالته العربية. (ابن الخطيب، ١٤٢٤، ٩٢) ولد الشاعر في عام ٧٤٧ هـ ونشأ في حجر والده القاضي الاديب ودرس على يد اعلام العلم بالحضرة النصرية وبعد اكمال دراسته ترقّي في عهد يوسف الثالث الي ان اختاره لتولي كتابة سرّه. كان ابن فركون شعلة من شعل الذكاء والادارك ومجموع خصال حميدة على يد الحداثة، طالب نبيل مدرك، نجيب، بذ اقرانه كفاية، وسما الي المراتب ، فقرأ واعرب وتدرب واستجاز له والده شيوخ بلده ونظم الشعر، وقيد كثيرا وسبق اهل زمانه في حسن الخطّ سبقا افرده بالغاية القصوي. وكانت له مكانة مرموقة في المجتمع الغرناطي يخطب اخل العلم والأدب ودّه ويطلبون شعره وكانت بينه وبينهم مكاتبات وقد كان شاعر الملك النصري يوسف الثالث الذي شهد بما حدث في زمنه من تحولات سياسية واجتماعية مهمة وانعكس ذلك كله في سير حياته وانتاجه الأدبي.(القحطاني ، ٢٠٠٩، ٤٥) ، واهم ما يميز قصائد ابن فركون ، عذوبة الالفاظ ورصانة المعاني ورقة العبارات، فهو بارع في ايصال المعنى بأفضل الجمل وادقها، فشعره اقرب ما يكون من الشعراء العرب الاوائل المطبوعين ففيه عاطفة جياشة ولحن شج، يمتلك القدرة على التنقل بين المعاني واظهارها بصور مختلفة. (القرطاجني، ١٩٨١ م،ص ٤٩)

وتقوم فكرة الثنائية الضدّية او التقابل بوصفها فكرة فلسفية على فكرة أن ثمة قدرة على الربط بين الظواهر التي يبدو أنها منفصلة، فالتضاد رابطة مثل التماثل، والتناقض رابطة؛ لأنه يعني نفي النقيض، فوجود النور ينفي وجود الظلام ؛ لذا يدخل النور والظلام في علاقة تناقض، أما وجود الأبيض فيتضاد مع الأسود، فالعلاقة بينهما علاقة تضاد،" فالحالتان المتضادتان إذا تتالتا، أو اجتمعتا معا في نفس المدرك كان شعوره ما أتم وأوضح وهذا لا يصدق على

الإحساسات والإدراكات والصور العقلية فحسب ؛ بل يصدق على جميع حالات الشعور كاللذة والألم والتعب والراحة...فالحالات النفسية المتضادة يوضح بعضها بعضا، وبضدها تتميز الأشياء، وقانون التضاد أحد قوانين التداعي والتقابل"(صليبا ، ٢٠٠٠، ص ٢٨٥)

فإن الدراسات الحديثة أولت أهمية بالغة بالعلاقات التقابلية والتضادية، لما لها من أهمية في كشف الدلالة وفي تحليل النصوص والخطابات، ويبدو أن لتيار البنيوية الحديث أثرا في تحول مسار البحث،وتعميق اتجاهه، فقد أدت مبادؤها "إلى بحث نماذج التماثل والتقابل والتعارض بين عناصر كل مستوى لغوي. "(خوسي ماريا ،لاتا،ص ٧٦)، حيث جعل بعض الباحثين يعيدون النظر في التضاد، فيميلون إلى الاعتماد عليه في التحليل، منطلقين في ذلك من عده جزءا من بنية النص، وبذلك فهو من مجال اللغة فمضوا إلى تحليل القصائد والنصوص باعتبارها بنى من المتناقضات، فهده المتناقضات -بالتالي -عناصر مكونة، فضلا عن كونها مزايا أو خصائص لجودة الشعر. (رينيه ويليك ، ١٩٨٧ م،ص ٤٧٥)

بصورة مجملة فأن الثنائية الضدية او التقابل هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى وقد يكونان اسمين أو فعلين أو حرفين او جملتين. فيكون تقابل المعنيين مما يزيد الكلام حسنا وطرافة. ويعتبر هذا الفن من أهم المحسنات البديعية وأروعها بحيث يعتبر لوحة لا يرسمها إلا من تذوق طعم هذا الفن، فهو يجمع بين شيئين ويبين الفرق بينهما في آن واحد، أي أنّه الجمع بين المتضادين فى الكلام، وهو علي ضربين(الهاشمي، ١٣٨١،ص ٢٩١) الاول طباق الإيجاب ويكون بالإثبات لكلا الطرفين أو بالنفي لكلاهما كأضحك وأبكى وأمات وأحيا في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴾ (النجم، ٤٤). النوع الثاني هو طباق السلب وفيه نجمع بين كلمتين أحدهما تنفى بليس والآخر مثبت وغير منفي كقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (الزمر، ٩)، والطباق

يقع اما بين اسمين، مثل «سيمسي الحي ميتا يوما» فهنا الحي بعكس الميت، واما بين اسم وفعل كما في قوله «لكل شيءٍ إذا ما تمّ نقصان»، هنا تمّ بعكس نقصان. واما ان يكون بين فعلين، مثل «تأخذ الحياة من شخص وتعطي الحياة لشخص آخر»، فهنا الفعل تأخذ بعكس تعطي. وقد يقع بين حرفين، مثل «ولهنّ مثل الذي عليهنّ»(البقرة،٢٢٨) (سليمان، ١٩٩١، ٤٣)

يعدّ التقابل مصدر الجمال من خلال إثارة الانتباه إلى الفكرة، وإيقاظ الشّعور للموازنة بين الشيء وضدّه، وفي ذلك يتحقّق الإمتاع الفنيّ، ويتمّ إيضاح المعنى وتوكيده، ويستقرّ في النّفوس، كما يزداد به الأسلوب جمالا ووضوحا، فمن المقابلة، وهي الجمع بين متوافقين فأكثر ثمّ ما يقابلهما على الترتيب، نحو قوله تعالى:﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾.(الكهف؛ ١٨)وقوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾.(المائدة، ١١٦) .(ابن جعفر، ١٩٧٩ م،ص ١٦٣؛ العسكري، 1971م، ص346). فذكر الشيء ومقابله يعطي الكلام حسنا، ويوسّع نطاق المعرفة في التعليم، ومن ثمّ القدرة على التمييز بين الخطأ والصّواب، وبضدّها تتمايز الأشياء، وهذا ممّا يحقّق الإشباع في التعلّم، والقضاء على المعرفة المبتورة، ممّا يوفّر ثقافة معيّنة تكون أكثر تأثيرا في التعبير القويم، والنطق السليم، يرتقي به وبصورة خاصّة إلى درجة تذوّق المعاني تذوقا جماليا.(السعدي،٢٠١٤، ٦٣)

تعددت مظاهر الثنائيات الضدية في شعر ابن فركون الاندلسي ، وذلك لعدة اسباب ابرزها ان الشاعر كان ينطلق من بيئة أدبية اندلسية اشتهرت بحبها للزخرفة البديعية وقد تأثر الشاعر في ذلك من الجو الأدبي والذوق العام، كما ان تقلب الواقع الاندلسي بين الحروب والسلام والصراع والصلح والنعيم والبؤس والاستقرار والاضطراب كل ذلك قد ترك اثره في شعره فضلا عن ذلك فقد استعان الشاعر بهذا الفن للتعبير عن الكثير من افكاره وعواطفه ورؤاه من خلال الثنائيات الضدية والتقابل البلاغي .وقد استخدم الشاعر كل انواع الثنائيات الضدّية سواء الطباق والمقابلة بمختف انواها الايجابية والسلبية

الا اننا هنا نقتصر بحثنا علي التقابل نظرا لما تمتاز به من دور فنّي بديع. ويجدر التنويه الى ان هناك ضربان من المقابلة لفظي ومعنوي؛ فالفظي نعني به تقابل ظاهر المفردتين كما في ثنائية (جاء ورحل)، واما التقابل المعنوي فيفهم من دلالة العبارات كما في تقابل (الاسد والنعامة) اذا ما اخذنا بمعناهما الاستعاري بمعنى الشجاع والجبان، وبصورة عامة فقد لعبت الثنائيات الضدّية دورا بارزا في شعره من خلال إثارة الانتباه إلى الفكرة، وإيقاظ الشّعور للموازنة بين الشيء وضدّه، وفي ذلك يتحقّق الإمتاع الفنيّ، ويتمّ إيضاح المعنى وتوكيده، ويستقرّ في النّفوس، كما يزداد به الأسلوب جمالا ووضوحا.

من ابرز تجليات الثنائية الضدّية ما يبرز في حديث الشاعر عن حال العاشقين:

وما همتُ حال البعد الا لأنها قلوب تلاقت والجسوم نوازح

(ابن فركون، ١٩٨٧، ١١٠)

فهنا نري المصراع الثاني يتضمن عبارتي (قلوب تلاقت) و(الجسوم نوازح) وهما يتضادان في مفرداتهما اذ ان القلوب تحمل دلالة الروح والهوي وبذلك فهي تتقابل مع الجسوم كذلك فان التلاقي يتقابل مع النزوح والهدف من هذه الثنائية الضدّية هو إبراز حب العاشقين حتي انهم في حال بعدهم تتلاقي ارواحهم واهوائهم فيجتمعون في الحب.

ومن ضمن تجليات التقابل المفهومي ما يبرز في وصف الشاعر لممدوحه :

وما سيفه الا دم الكفر سافح وما حلمه الا عن الذنب صافح

(ابن فركون، ١٩٨٧، ١١٠)

فيلاحظ هنا ان المصراع الاول يتقابل مع الثاني اذ ان البيت الاول يصور غضب الشاعر وهو يريق دم الاعداء والثاني يجسّد حلمه وهو يعفو عن الاصدقاء ويحفظ بذلك دمهم؛ وهكذا فان السيف بمعني الغضب والشدة وبذلك يتضاد مع الحلم كما ان سفح الدم يتضاد مع الصفح والعفو عن

الذنب. والتقابل البلاغي هذا يهدف الي بيان سعة حلم الممدوح بجانب قدرته حتي انه يبطش من يشاء ويعفو لمن يشاء وذلك قمة عظمته.

ويلاحظ التقابل المفهومي أيضا في حديث الشاعر عن عقد السلم مع العدو:

وهل هو الا السيف جرّد للعدي فلما تهادي سلمها ردّ في غمد

(ابن فركون، ١٩٨٧، ١٣٢)

يصور الشاعر الملك بالسيف الذي جرّد للحرب فيما سبق الا انه اغمد في النيام بعد عقد السلم والصلح وبين سلّ السيف للحرب وغمد السيف للسلم تقابل بلاغي يكشف عن منعة الملك بجانب رغبته للصلح.

ونري الثنائية الضدّية ايضا في حديث الشاعر عن كرم الممدوح ومآسي الدهر:

وما تخلق الايام ثوب مآملي ونعماك يا مولي الوري تستجدّه

(ابن فركون، ١٩٨٧، ١٣٧)

فنلاحظ هنا ان يرسم الدهر وهو يحاول ان يجهض امال الشاعر الا ان الممدوح ينجز تلك الاماني من خلال كرمه وجوده وهكذا البيت يتضمن ثنائية تقابل بين بخل الدهر وكرم الممدوح ونعمائه ومفردات الخلق والجدة.

ويلاحظ التقابل ايضا في وصف دفاع الملك امام جحافل الاعداء وهجومه عليهم :

فكم خلل سدّه في الثغور وسهم لحرب العدي سدّدا

وكم من حمي قد حماه وكم جهاد به نفسه اجهدا

(ابن فركون، ١٩٨٧، ١٣٨)

فنري المصراع الاول يتقابل مع الثاني اذ ان الاول بمعني الدفاع عن البلاد الاسلام والثاني بمعني الهجوم علي ارض العدو وكذلك البيت الثاني فهو يصف عملية ذب الممدوح عن حمي المسلمين وجهاده في بلاد العدو.

ويتجلي فن التقابل البلاغي ايضا في صراع الشاعر مع الدهر:

فمـــا ذلـــل الـــدهرالا اعـــزّ ولا ضـــلل الغـــي الا هـــدي

(ابن فركون، ١٩٨٧، ١٣٨)

يصور الشاعر الممدوح وقد اعز كل من ذله الدهر وهدي من اغواه؛ ويلاحظ الثنائيات الضدّية في (التذليل والإعزاز) و(التظليل والهدي) والهدف من هذه الثنائيات وصف دور الممدوح في حياة الناس حتي انه يصلح كل ما افسده الدهر وبات مأوي الناس ومعينهم.

ويتجلي فن التقابل ايضا في مقارنة الشاعر للممدوح والدهر اذ يقول:

ويطلـع منـه الوجـه ازهـر باسمـا وللافـق وجـه بالعجاجـة اغـبر

(ابن فركون، ١٩٨٧، ١٥١)

فنري هنا ان الشاعر يرسم صورة الممدوح حين الحرب وهو مبتسم خلافا لصورة المقاتلين الاخرين وقد تكدرت وجوههم من شدة القتال وهكذا فانبساط الممدوح يقابله تكدّر وجوه الخصوم وهذا التضاد يتضمن فن الكناية اذ ان ابتسام الممدوح حين الحرب تعبير عن انتصار وذلك خلافا لعبس وجوه الخصوم الذي يعني اندحارهم وهزيمتهم مما ادي الي تكدر وجوههم.

ونلاحظ ثنائية التضاد ايضا في وصف احتلال الملك لبلاد العدو:

سدّت علي المعتدي ادني مذاهبه وان اقصي بلاد عنده فتحت

(ابن فركون، ١٩٨٧، ١٧٥)

ان الملك سدّ طريق العدو وحصن ارضه فلم يستطع ان ينفذ الي بلاد المسلمين ولم يكتف بذلك بل اغار علي ارض العدو وفتح بلاده دون ان يتمكن العدو من حصانتها وهكذا نلاحظ تقابل بلاغي يستنبط من مفهوم الدفاع عن البلاد الاسلامية في المصراع الاول وفتح بلاد الكفر في المصراع الثاني.

ونري التقابل ايضا في حديث خضوع الاعداء بعد تمردهم السابق:

فالقوا يد التسليم طوعا ولم يكن لينقاد باغيهم الي السلم والصلح

(ابن فركون، ١٩٨٧، ١٨٢)

فقد استسلم العدو طوعا بعد ان رفضوا الانصياع والاستسلام فيما سبق؛ فالمصراع الاول يصور خضوعهم وقت الحال والمصراع الثاني تمردهم السابق وبذلك يكشف عن تغلب الملك علي خصومه حتي انه أرغم أعدائه علي الاستسلام والركون الي الحل السلمي.

ويستخدم الشاعر الثنائية الضدّية ايضا في موازنة الدهر والممدوح فيقول:

ينجز الوعد والزمان خؤون ويوفي الحقوق والدهر باخس

(ابن فركون، ١٩٨٧، ١٨٤)

فيلاحظ هنا ان عبارة (انجاز الوعد) تقابل (خيانة الدهر) وكذلك (وفاء حقوق الممدوح) يوازي (بخس الدهر) والهدف من هذا التقابل هو بيان كرم الممدوح وصعوبة ايام الدهر حتي انه الممدوح بات الملجأ الوحيد وان ما عداه فبخل وتضييع للحقوق.

ونشاهد التقابل ايضا في وصف بسالة الملك وقدرة جيشه:

يضيق مجال الفوز عن كل معتدٍ اذا هو للخطّي قد فسح الخطا

(ابن فركون، ١٩٨٧، ١٨٨)

فيشرح الشاعر هنا ان الاعداء قد ضاعت عليهم سبل الانتصار بعد ان انفسحت سبل جيش الملك وذلك كناية عن العدو وانتصار الممدوح وهكذا فان المصراع الاول يقابل المصراع الثاني والهدف من ذلك هو بيان مدي قوة الممدوح حتي انه تغلب علي كل من سواه من الملوك.

وكذلك يوازن الشاعر بين ممدوحه وسائر الملوك الخاضعين له فيقول:

فترجوك للسلم املاكها وتخشاك في الروع اسد الغضا

(ابن فركون، ١٩٨٧، ١٩١)

يوكد الشاعر ان كل الملوك ترجو سلم الممدوح كما انها تخشي حربه فيلاحظ الرجاء يقابل الخشية والسلم يقابل الحرب والهدف من هذا التقابل هو بيان شدة بسالة الممدوح وحلمه حتي انه رغم قوته الا انه يميل الي السلم كما يطمح به الاخرون.

وكذلك يصف الشاعر نضال الملك وقوة خطابته بقوله:

اذا حـارب ارتاعـت لذابلـه العـدي وان سـالم ارتاحـت اليـه المنـابر

(ابن فركون، ١٩٨٧، ١٩٩)

يصـرح البيـت ان الملـك اذا مـا حـارب فخشـاه الخصـوم واذا سـالم فتبـتهج بـه المنـابر وتسـرّ بخطبـه الاصـدقاء؛ فـالحرب تقابـل السـلم والارتيـاع يقابـل الارتيـاح والهـدف مـن التقابـل هـو التاكيـد علـي ان الملـك يتميـز بقـوة الخطابـة فضـلا عـن شهرته العسكرية.

نري الشاعر يقابل بين الأيام الشرعية كما في قوله:

ترحّـل شـهر الصـوم أكـرم ظـاعن واقبـل عيـد الفطـر أشـرف قـادم

(ابن فركون، ١٩٨٧، ٢٠٠)

فنـري الشـاعر يصـف حـال شـهر الصـوم وقـد ظعـن وارتحـل بعـد ان قـدم عيـد الفطـر المبـارك ؛ فالرحيـل يتضـاد مـع الاقبـال والعيـد هـو خاتمـة الصـيام والصـورة تعبر عن اجلال الشاعر لهذا الشهير الفضيل وسروره بحلول يوم العيد المبارك.

ونلاحـظ التقابـل المفهـومي ايضـا في وصـف احـد القـادة الـذين خـانوا الملـك ونكثوا بيعتهم :

وهـل يعقـد الرايـات للنصـر غـادر وقـد حـل عهـد للوفـاء وموثقـا

(ابن فركون، ١٩٨٧، ٢٠٢)

ينفـي الشـاعر هنـا ان يكـون القائـد الغـادر بالملـك ينتصـر علـي عـدوه بعـد ان خـان عهـد وفائـه وبـين مفهـوم نصـرة الملـك في المصـراع الاول وخيانـة عهـده والخـروج علـي سـلطان ضـمن اعدائـه في المصـراع الثـاني تقابـل بلاغـي يقـبح صـور الخيانة ويذمّ صانعها.

ويرسم الشاعر صورة الملك من خلال آلية التقابل بقوله :

امـام يفـوق الـدهر صـرفا علـي العـدي ويعفـو عـن الـذنب العظـيم ويصـفح

(ابن فركون، ١٩٨٧، ٢٠٥)

فالمصراع الاول يوكد ان الممدوح اشد بطشا من الدهر علي اعداء اما الثاني فينوه الي عطفه وعفوه عن ذنوب اصدقائه؛ وهكذا يلاحظ ان الشاعر وازن بين بطشه الممدوح بمن عاداه وعفوه عمّن صادقه والهدف من ذلك هو تاكيد سطوته وحلمه في آن واحد.

وكذلك نشاهد التقابل البلاغي في وصف هزيمة الخصم الكافر وانتصار الجيش الاسلامي:

وهذا ولي الكفر اخفق سعيه وخاب واعلام الجهاد خوافق

(ابن فركون، ١٩٨٧، ٢٠٨)

في المصراع الاول يشير الي اخفاق جهد الجيش الكافر كناية عن هزيمته وفي المصراع الثاني ينوه الي خفق الرايات الاسلامية كناية عن انتصارهم وبين مفهوم هزيمة الكفر وانتصار الاسلام تقابل بلاغي يشكف عن سرور الشاعر بما تحقق من نصر اسلامي وشماته بعدوه النصراني.

يلاحظ التقابل ايضا في حديث فضل الملك علي ملة الاسلام وانعامه عليهم خلافا لملة الكفر:

فيوردها للأمن اعذب مشرع تذود العدي عن ورده مشرعاتها

(ابن فركون، ١٩٨٧، ٢١٤)

ان الملك اورد جيشه وملته مواطن الأمن ومنحهم اعذب المشارب وقد ذاد خصومه واعداءه عن تكل المواطن وادخلهم في مواطن البؤس والهلاك وحرمهم لذة الحياة؛ ويلاحظ النعيم الملكي للمسلمين في المصراع الاول والسعير الذي احلّه بمناوئين الكفار.

ومن تجليات فن التقابل ايضا قوله:

وتخفق مسعي الكافرين بنوده اذا خفقت في افقها عذباتها

(ابن فركون، ١٩٨٧، ٢١٥)

المصراع الاول يعني اخفاق جهود الكافرين في تحقيق النصر في حال ان المصراع يشير الي اعتلاء رايات الممدوح في ارض العدو كناية عن انتصاره وبذلك فان هناك تقابل بين هزيمة العدو وانتصار الممدوح.

وكذلك يبين دور الملك في حياة اصحابه واعدائه اذ يقول:

خلافتــك العليــا اســتقل عمادهــا فـــذلّ مناويهـــا وعـــزّ قبيلـــها

(ابن فركون، ١٩٨٧، ٢٢٣)

فيلاحظ ان عبارة (ذلّ مناويها) تقابل (عزّ قبيلها) وهي تشير الي ان الملك يذل خصومه وعزّ انصاره وبين الذل والعز تضاد كما ان بين الانصار والاعداء تضاد ايضا ؛ والهدف من التقابل بيان سلطان الملك.

ومن تجليات التقابل ايضا وصف توضاع الملك ورفعة قدره في قوله:

لـئن كـان فينـا شخصـه يطـأ الثـري ففـوق الثريـا مجـده قـد عـلا قـدرا

(ابن فركون، ١٩٨٧، ٢٨٨)

ان الملـك وان كـان يطـأ الثـري متواضـعا الا ان قـدره ومكانتـه في الثريـا وبـين وجـود الملـك في الارض ومكانتـه السـماوية تقابـل بلاغـي يكشـف عـن سمـو قـدر الملك علي الرغم من تواضعه ونباهته بالناس.

ويستعين الشاعر بفن التقابل ايضا في وصف تقلب الدهر:

كـم قـد دعتنـا الـي السـقيا مواردهـا وان عـــدتنا عـــن اللقيـــا عواديهـــا

(ابن فركون، ١٩٨٧، ٢٩٩)

فـان المصـراع الاول علـي مواتـاة الـدهر حـتي انـه دعـاه الـي الانتهـال مـن معـين النعـيم وفي المصـراع الثـاني يوكـد صـلف الـدهر حـتي انـه منعـه مـن اقـتراب ورد الحيـاة؛ ويلاحـظ ان هنـاك ثنائيـات تضـاد بـين (دعـي وعـدي) و(مـوارد الحيـاة وعـوادي الـدهر) والتقابـل بصـورة عامـة يرمـز الـي وصـف تقلـب الـدهر حـتي انـه يمـنح تـارة ويسـلب تـارة اخـري ويجـود بالوصـل مـرة ويحكـم بالفصـل والبعـد مـرة اخري.

وكذلك نشاهد صورة حزم الملك وعفوه مرة اخري في قوله:

يجودهـــا ســـيبه طوعـــا ويرفـــدها يردّهـــا ســـيفه قهـــرا ويرديهـــا

(ابن فركون، ١٩٨٧، ٢٩٨)

فالملك يجود علي اصحابه مرة اخري ويرفدهم بفضله كما انه يهلك خصومه ومناوئيه بغضبه ويرديهم؛ وهكذا فهنا ثنائيات تضاد بين (كرم الملك وسيفه الذي يعني غضبه) و(يجود ويردّ) و(يرفد ويردي) اذ ان الأولي تأتي بدافع الاكرام والرضي والثانية بدافع الغضب والسخط.

ويلاحظ التقابل ايضا في طلب الشاعر لشفاعة الرسول ص :

انا المذنب الجاني وانت شفيعه ومثلك من يرجي ومثلي يرجم

(ابن فركون، ١٩٨٧، ٣٢٤)

يوازن الشاعر هنا بين نفسه المذنبه والرسول الشفيع؛ فيلاحظ ان هناك تقابل بين (انا وانت) و(المذنب والشفيع) و(يرجي ويرجم) اذ ان الرجاء بمعني طلب الشفاعة والرجم كناية عن فداحة الذنب حتي انه يستحقّ الرجم وهكذا فهناك تقابل بين من هو صاحب الشفاعة ومن هو مذنب طالب للشفاعة.

ويلاحظ التقابل ايضا في وصف جبهتي الاسلام والكفر بقول:

سيوف حماة الدين عزّت رقاقها بهم وطغاة الدين ذلّت رقابها

(ابن فركون، ١٩٨٧، ٣٤٢)

فالمصراع الاول يوكد علي ان سيوف المسلمين استعزّت وذلك كناية عن عزة المسلمين وانتصارهم اذ نسب العزة الي السيف ويعني بها صاحبه كما ان المصراع الثاني في ذلّ رقاب الكفار كناية عن انهزامهم وهكذا فان المصراع الاول بمعى انتصار المسلمين العزيز والثاني بمعني انهزام الكفار الاذلاء.

ويستخدم الشاعر فن التقابل ايضا في وصف رماح جيش الملك بقوله:

اذا ثبتت راق العيون ثباتها او انقلبت راب النفوس انقلابها

(ابن فركون، ١٩٨٧، ٣٤٥)

فالمصراع الاول يصور رماح الجيش الثابتة المنتظمة بانها تروق نظر المسلمين اما المصراع الثاني فيبين اضطراب انفس الاعداء حين مرأي هجوم تلك الرماح

حتي انها تضطرب باضطراب تلك الرماح وهكذا فهنا ثنائيات ضدية بين (الثبات والانقلاب) (راق بمعني الاستحسان وراب بمعني الحذر والخوف) والشاعر بهذا التقابل يرسم مهارة الجيش الاسلامي في استخدام السلاح والرماح ورهبة العدو من استخدامها.

ونشاهد ثنائية الكفار والمسلمين مرة ثانية في قوله:

انست بعز النصر عزّ كتائب اضحي بها جند العدوّ شرودا

(ابن فركون، ١٩٨٧، ٣٦٣)

ان الجيوش الاسلامية أنست بانتصار الملك بعد ان اصبح الكفار هاربين شاردين في ارجاء الارض؛ ونلاحظ الثنائية الضدّية في (الانس والشرود) و(الكتائب الاسلامية وجند العدو) والأنس كناية عن نشوة الانتصار والاحتفاء بملكهم خلافا لشرود الكفار اثر انهزامهم وتفرقهم في شتي ارجاء الارض.

ونلاحظ فن التقابل ايضا في تصوير انتصار الملك علي بلاد الكفر:

اقفرت من أهل الظلالة ارضها وملأت افاق السماء بنودا

(ابن فركون، ١٩٨٧، ٣٦٧)

فيصور الشاعر بلاد الكفر وقد اقفرت من اهلها وامتلأت برايات المسلمين وجيوشها؛ ونزوح الكفار عن ديارهم كناية عن انهزامهم كما ان امتلاء ارض العدو برايات المسلمين كناية عن انتصار المسلمين وفتح تلك الارض.

نتيجة البحث:

تعددت الثنائيات الضدّية في شعر ابن فركون الي ضربين هما الطباق والمقابلة واللفظي والمعنوي حتى غلبت على شعره وصبغه بصبغته.

يرجع سبب كثرة الثنائيات الضدّية في شعره لعدة اسباب ابرزها ان الشاعر كان ينطلق من بيئة أدبية اندلسية اشتهرت بحبها للزخرفة البديعية وقد تأثر الشاعر في ذلك من الجو الأدبي والذوق العام، كما ان تقلب الواقع الاندلسي بين الحروب والسلام والصراع والصلح والنعيم والبؤس والاستقرار والاضطراب كل ذلك قد ترك اثره في شعره فضلا عن ذلك فقد استعان الشاعر

بهذا الفن للتعبير عن الكثير من افكاره وعواطفه ورؤاه من خلال الثنائيات الضدية والتقابل البلاغي.

استخدم الشاعر كل انواع الثنائيات الضدّية سواء الطباق والمقابلة بمختف انواها وقد ظهر لديه فن المقابلة علي ضربين لفظي واضح من خلال المفردات ونوع اخر معنوي يستنبط و يفهم من سياق الكلام.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم .

١. ابن جعفر، أبو الفرج قدامة نقد الشعر ،تح: محمد عبد المنعم الخفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١ ، القاهرة ١٩٧٩ م

٢. ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤، ٩٢

٣. ابن فركون الاندلسي، حسين، ديوان الشاعر، تحقيق ابن شريفة، مطبوعات اكادمية المملكة المغربية، ١٩٨٧.

٤. ابن معصوم المدني ،أنوار الربيع في أنواع البديع: تح: شاكر هادي شكر .مطبعة النعمان ، ط ١ ،العراق ، ١٩٦٨ م

٥. رينيه ويليك،مفاهيم نقدية،تر: د.محمد عصفور،الكويت، ١٩٨٧ م

٦. الطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١ م

٧. فضل،صلاح، نظرية البنائية في النقد الأدبي.مكتبة الأنجلو المصرية،مصر، ١٩٧٨ م

٨. القحطاني،قاسم، ابن فركون الاندلسي شاعر غرناطة، دار الكتب الوطنية ابو ظبي، ٢٠٠٩.

٩. القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط ٢،بيروت ١٩٨١ م

١٠. العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر. تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، عيسى البابي الحلبي، ١٩٧١

١١. الساحلي، منى علي سليمان، التضاد في النقد الأدبي. منشورات جامعة:قان يونس، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ١٩٩١.

١٢. سعيد، جبر، التقابلات الدلالية في العربية والإنجليزية (تحليل لغوي تقابلي)،عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨
١٣. السعدي،مصطفى، البناء اللفظي في لزوميات المعري(دراسة تحليلية بلاغية)،منشاة المعارف،الإسكندرية،٢٠٠٠.
١٤. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٢٠٠٠